12 me Année No. 583

Lundi - 9 - 10 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٨ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٢ شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤» السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٩٠١ أمية المتعلمين ... .. : الدكتور محمد مندور ...

٩٠٤ ثقافة أبى العلاء ... .. : الأستاذ دريني خشبة . . ...

٩٠٦ ثورة على القطيع . . .. : الأستاذ زكريا إبراهيم ..

٩٠٨ اللغة القانونية فى الأقطار العربية : الأستاذ عدنان الخطيب ...

٩١٢ كتاب الأنصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى ... ... : الأستاذ برهان الدين الداغستانى

٩١٤ قبر أبى العلاء . ... : الأستاذ صبحى الماسينى . .

٩١٧ حلم الفجر ... [قصيدة] : الأستاذ سيد قطب ... ...

٩١٧ القريب البعيد » : الأستاذ حسين سرحان ...

٩١٨ بيان إلى صحف الأقطار الشقيقة : الأستاذ توفيق الحكيم ...

٩١٨ حرية الفكر أيضا .. . : الأستاذ نقولا الحداد ...

٩١٩ تعريف لوحدة .. ... : الأستاذ حبيب الزحلاوى . .

٩١٩ إلى الدكتور زكى مبارك . . : الأستاذ دريني خشبة ... ..

٩١٩ بقية عن تيمور ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...

٩٢٠ منع النساء من لبس العمائم الكبيرة ... .

أميـــة المتعلمين

للدكتور محمد مندور

نحن فى حاجة إلى أن نكافح ببلادنا ثلاثة أنواع من الأمية : الأمية الأبجدية والأمية العقلية وأمية المتعلمين . ولا بد إذا أريد لهذا البلد الصلاح من أن نكافح الأنواع الثلاثة معاً ، وساقاً بساق فى شبه ثورة اجتماعية تجند لها جميع القوى قسراً

فأما الأمية الأبجدية فتلك فى الحقيقة أهونها ، لأن تعليم فك الخط ليس بالأمر العسير ، وإن تكن هناك ظاهرة تستحق النظر . فلقد اتفق لكاتب هذه السطور أن رأى صبية التعليم الإلزامى يطالعون دون أن يخطر ببالهم أن المطالعة إنما تكون لفهم ما نطالع أو محاولة ذلك الفهم . وأنا بعد لا أدرى سر هذه الغفلة ، وإن كنت أميل إلى التفاؤل ، إذ يخيل إلىّ أن محو الأمية الأبجدية عند الأطفال كسب حقيقى ، فهم إذا كانوا عاجزين عن أن يستفيدوا بما تعلموا من مبادئ القراءة والكتابة فلا أظن ذلك مانعاً لهم عند الكبر وتفتح النفس من أن يهتدوا إلى أن القراءة إنما جعلت للفهم والإلمام بما نقرأ . وأكبر الظن أن هذه الظاهرة لن تحدث عند تعليم الكبار الذى تعتزمه اليوم

حكومتنا ، فالشخص الكبير لا بد من أن يتحرك تفكيره بما يقرأ ، وبخاصة إذا اختير له من القراءات ما يثير اهتمامه الشخصي ، ويلابس ظروف حياته فيشعره بفائدة ما يقرأ . وسوف يزداد شغفاً إلى إجادة القراءة بفضل ما يلقن من مبادئ الثقافة الشعبية التي تشق الحجب عن بصيرته ، فيحس بآفاق جديدة تنتشر بها حياته ، حتى لكأنك تفك عنه أغلالاً ، سيدرك عندئذ أنها كانت توثقه على غير وعي منه ، وإذا به يسعى إلى أن يتمكن من الوسيلة التي حررته . ومن هنا تظهر الصلة المتينة القائمة بين مكافحة الأمية الأبجدية والأمية العقلية ، وتأثير إحداهما في إنجاح الأخرى

والأمية العقلية محوها لا ريب أشق وأبعد مدى من محو الأمية الأبجدية ، وإن خيل إلينا عكس ذلك ، فقد يقول قائل : إن باستطاعتك أن تجمع الأميين وتخاطبهم بلغتهم العامية عما تريد أن يعلموا وإذا بك تبدد الجهل من عقولهم ، وهذا قول لا يصح إلا في ظاهره . فقديماً قال مفكرو الإغريق : « إن تثقيف الأطفال — والأميون في هذا حكمهم حكم الأطفال — لا يستطيعه غير الفلاسفة » والسبب في ذلك بين ، فالمعلم لا بد له من خيال قوي ليستطيع أن يخرج عن نفسه ليحاذي عقلية من يخاطب ، ثم إنه ليس أشق من تبسيط المعرفة ، وذلك لاستهداف المبسط في أغلب الحال لأحد أمرين : الغموض أو الثرثرة . ومن هنا ترى أن كتب التبسيط العلمية الجيدة لا يكتبها عادة في أوروبا غير كبار العلماء الذين هضموا المادة حتى أصبح حديثهم عنها أشبه ما يكون بذكريات حياتهم الخاصة

وأيا ما يكون الأمر فهذان النوعان من الأمية باستطاعة حكومة حازمة أن تكافحهما أنجح الكفاح ، ولكن ثمة النوع الثالث وهو أمية المتعلمين فذلك ما يحير اللب ، حتى لأحسب أن تلك الأمية من أدوائنا العميقة التي اجتمعت لتأصيلها أسباب عانية لا ندري كيف السبيل إلى علاجها

ولأمية المتعلمين ثلاثة مظاهر : الانتهاء من التعليم الدراسي بفائدة ضئيلة ، وعدم تنمية كل صاحب فن لمعلوماته الفنية بعد التخرج ، وأخيراً ضعف الثقافة العامة عند معظم المتعلمين ، بل وإهمالها أحياناً إهمالاً تاماً

الخروج من التعليم بفائدة ضئيلة له ما يشابهه في حياتنا العضوية ؛ فنحن جميعاً لا نتمثل من الغذاء كل ما فيه من عناصر القوة ، حتى لترى من الناس الضعيف برغم ما في شهيته من نهم ، ومنهم القوي على ما به من اقتصاد في الغذاء . والقدرة على تمثل المعرفة للطبع فيها دخل كبير ، ولكنه ليس كل شيء ؛ فمناهج الدراسة وقدرة الأساتذة تفعل في ذلك الأعاجيب .. وليس من شك في أن الثمرة الحقيقية لكل تعليم صحيح هي ما يخلف في النفس من رواسب تمتزج بملكاتنا ، حتى تصبح جزءاً منها ، وأما المعلومات التي نحملها كودائع نسلمها لأوراق الامتحانات إسلاماً لا رجعة فيه ؛ فذلك ما لا يمكن أن يسدد إدراكاً أو يهذب ذوقاً أو يرهف إحساساً . والمتعلم لن يصل إلى ما يجب من تمثل المعرفة إلا إذا أوتي من الخيال ما يستطيع معه أن يتصور في كل حين مواقف الحياة التي من الممكن أن يستخدم فيها كل نوع من المعرفة التي يتلقاها ، وبفضل هذا الخيال يمد الصلات بين العلم والحياة . ونحن لا نملك هذه القدرة على نسبة سواء في مراحل حياتنا المختلفة ، ولا أدل على ذلك من أن نعود بعد أن يستوي إدراكنا إلى أبسط كتب الدراسة نقرأها من جديد فنجد أننا كنا واهمين عند ما اعتقدنا ونحن صغار أننا قد انتزعنا كل ما بها وفهمناه على وجهه . بل إن الكتب التي نقرأها مرة واحدة ونحن كبار نستطيع أن نعود إليها أو إلى الجيد منها فنعثر فيها دائما على جديد لم نفطن إليه أو غامض لم نحسن فهمه ، وكل ذلك فضلاً عما نستوحيه من تلك الكتب . ومن الثابت أن الكتاب وسيلة للتفكير الأصيل قدر ما هو مستودع المعرفة ، وياويل قارىء سابي لا يقف من الكتب إلا موقف المتلقي . ولقد اتفق لكاتب هذا المقال أن

لاحظ غير مرة فروقاً شاسعة بين المتعلم المصري والمتعلم الأوربي. فشبابنا المتعلمون أغلبهم لا تحس في حديثهم بمعارفهم إيماناً بما يقولون، أو على الأصح يرددون حتى ليتضح أن كل ما يذكرون ليس إلا رهائن في نفوسهم لا يعرفون سراً لاحتفاظهم بها، ولا يرون لها صلة بالحياة أو فائدة من إثرائها به إخضاعها وتوجيهها. ولقد يكون أحدهم واسع الذاكرة ولكنك مع ذلك لا تعدم أن تحس بضيق إدراكه، حتى لكأنه حبيس فيما يردد مستعبد له؛ وكل تلك مظاهر لأمية أخطر من أمية العوام. والغربي على العكس من ذلك إيجابي في تفكيره، معارفه حية لأنها وقود لتفكيره، ومن هنا تتسع حيلته في الحياة وتشتد ثقته بنفسه، فلا يرهب مجازفة ولا يقعده عجز عن البدء في كبار الأمور يخطط سبلها ويوفر لها أسباب النجاح. عجيب أن يتخرج متعلمنا عالة على الحياة ويتخرج متعلمهم عنصراً فعالاً في خلق تلك الحياة

وذوو العين منا قل من يتابع منهم سير المعرفة في مهنته، وذلك لأنهم لا يلبثون بمزاولة العمل أن ينزلوا إلى الآلية التي لا تستطيع تجديداً، حتى في تفاصيل المهنة. والسر في ذلك، هو أنهم لا يقدرون — لكسل أو إغياء — قيمة المعرفة النظرية في مهنتهم قدرها الحق، ونحن الآن في عالم تفقدت فيه وسائل العمل والإنتاج، وأصبحت تستند إلى أسس نظرية لن تتقدم مهنة بدونها؛ ونحن لا نلقى القبعة كلها على متعلمينا فمنهم المرهق المهموم بتبعات الحياة المادية كالمدرس، ولكن إلى جانب هؤلاء كم ترى من موظفي الدواوين الذين طغى الكسل على حياتهم فتسكعوا كالدواب، وكم ترى من أطباء ومحامين لم يترك لهم جشع الحياة فراغاً، يطالعون فيه تجديداً أو يجيدون فهم قديم، تلقاهم فتدهش لآفاقهم المحصورة بمعارفهم الضامرة لا في ثقافتهم المهنية فحسب، بل وفي ثقافتهم الإنسانية العامة، تلك التي لا بد أن تستند إليها معارفهم الفنية إذا أريد لها أن تنمي قدرتهم على تكييف النفوس والحكم على مواقف الحياة حكماً صحيحاً؛ وهذه أيضاً أمية لا تجد لها مثيلاً في الغرب حيث يؤمن كل ذي مهنة أن توقفه عن القراءة مميت لمهنته مجفف لنفسه، وأنه لن يستطيع المنافسة في ميدان الحياة ما لم يتابع مكتشفات المهنة وثقافتها النظرية متابعة حارة مستمرة

ونصل إلى ضعف الثقافة العامة؛ وهذا الضعف كما رأينا شديد الصلة بالتعليم وبالثقافة المهنية على السواء. ونقصد بالثقافة العامة كافة أنواع المعرفة الأدبية والتاريخية والفلسفية التي لا تتصل بمهنة ولا تؤدي إلى استغلال مادي مباشر. وفي هذه الظاهرة ترى ببلادنا ما يفرع حتى لتحسب أننا في أرض لم تتسرب إليها بعد معاني الحضارة الحقيقية. ففي أوروبا مثلاً من المستحيل أن تلقى موظفاً أو طبيباً أو مهندساً أو محامياً يجهل مؤلفات كبار المفكرين من الأدباء والفلاسفة والمؤرخين. وأما في مصر فمن المستحيل أن تلقى من بين من ذكرنا من يعرف تلك المؤلفات في غير النادر الذي لا حكم له. ومن أشنع ما يهولك أن ترى سادتنا لا يستحون من جهلهم، بل يظهرون من عدم الاكتراث، إن لم يكن الاحتقار الكاذب لتلك الثقافة الحرة، ما يحزن. ومن عجيب الأمر أنهم لا يجلون حتى بما سيجدون في تلك الثقافة من عون على مزاولة مهنهم مزاولة صحيحة، وهم يكادون يجهلون أنهم يعيشون في وسط اجتماعي وأنهم يعملون في صلب الحياة. وليس من شك في أن أحدهم لن يفهم وسطه الاجتماعي أو ينفذ إلى نفوس من يحيطون به أو يستطيع علاج مشاكل الحياة مالم يتسع أفقه وتشحذ ملكاته الإنسانية بالثقافة الواسعة الحرة، ولكم من مرة لقينا بأوروبا طبيباً أو محامياً يحدثك أن نجاح مهنته لا يتوقف على معلوماته الفنية فحسب، بل لابد له من أن ينهض على فهم صحيح لنفسية المريض أو الخصم أو القاضي، وسبيلهم إلى ذلك الفهم هو مواصلة القراءة في ميادين البحث الإنساني. ثم هب أن الثقافة العامة لن تجدي في الحياة العملية، أليست هي المنبع الأول لمتع الحياة، أليست هي دليل التحضر وارتفاع الإنسان عن مستوى الحيوان الأعجم؟ ألا فلنذكر قول المفكر الفرنسي العميق جورج ديهامل: «المكاتب العامة لا تكفي حاجات الناس، ولذا يمتلك كل منهم — مهما كان فقيراً ومهما ضعف استقراره — مكتبة صغيرة هي كنزه الذي يعتز به. فكل إنسان يشعر بالحاجة إلى أن يجد في متناوله وتحت بصره وسائل حياته، وهو يقتنيها لا لأن الكتاب هو أخص زينات المنزل، ولا لأنه ينشر في الأماكن التي يحليها عبيراً أليفاً نافذاً من الروحية، بل لأنه يجد فيها ما يركن إليه في ساعة ضلال أو انحلال أو شك أو فراغ نفسي. ولتتصور ماذا تكون حياتك في بيت مريح، ولكنه خال من الكتب، إنك لن تلبث حينئذ أن تحس بالنفرة وضيق الصدر»

محمد مندور